شيخ الكتابة وبانيها في عصر بني الاحمر
أبو الحسن بن الجيّاب الغرناطي (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

أ. م. د. برزان ميسر حامد الحميد
جامعة الموصل
كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

أبو الحسن بن الجيّاب علم من الأعلام المجيدين وكاتب من الكتّاب الرموز الذين برعوا في كتابة الرسائل الديوانية في عصر بني الاحمر بغرناطة في الأندلس (٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٧-١٤٩٢م)، واستطاعوا ان يسيروا فيها خطوات واسعة، حتى استقامت على عودها من حيث الأساليب والشكل والمضامين.

وشخصية أبو الحسن من الشخصيات اللامعة في تاريخ غرناطة، فهي شخصية قوية إنفردت بمهاراتها الشعرية والإدارية والسياسية، ومثّلت إلى حد ما علم من أعلام الكتابة الديوانية في عصر بني الاحمر، وما وصل إليه فن الكتابة الديوانية آنذاك. وقد ابتعد قليلاً عن تأثير كتابة الموحدين الديوانية، وربما كان بداية الإبداع الفني في الأدب الأندلسي في عصر بني نصر، وعصر الاستقرار السياسي لدولتهم.

من كتّاب ديوان الانشاء المتميزين وقطب من أقطاب الشعر الذين أعادوا روعة الأدب الأندلسي في أعظم عصوره، كان يشارك في المناظرات الأدبية التي يعقدها الكتبة في ديوان الانشاء، وكان يظهر في ذلك سرعة بديهة عزّ نظيرها، وكان صاحب الغاز وطُرَف مع الكتّاب. امتدحه معظم من عاصره من الشعراء والفقهاء والكتّاب، وعلى رأسهم تلميذه ابن الخطيب الذي قال بحقه: "وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى الصالح الفاضل أبي الحسن بن الجيّاب"، وقد أنشئ كتبٌ عدة في شتى الأغراض حتى قيل عنه "شيخ الكتابة وبانيها".

نشأ في كنف بني نصر (بني الأحمر) واتصل بخدمتهم منذ أن كان يافعاً، وكتب عن سلاطينهم "خمسين سنة أو ينيف"، خدم خلالها ستة منهم، وقال فيهم الأشعار، منها في المديح، ووصف القصور، والمصانع، وما يكتب على القبور. وقد تدرج في حظوته عند مخدوميه، حتى نال رئاسة الكتّاب، وبعد ذلك تقلد الكتابة والوزارة، حتى لقب بذي الوزارتين، وظل كذلك حتى وفاته.

Sheikh of Writing and its Founder in The Era of Bani Al-Ahmar Abu Al-Hassan Bin Al- Jiyab Al-Ghornatti (died 749A.H./1348A.D.)

Assist. Prof. Dr. Barzan Moyassar Hamid Al-Hameed
University of Mosul
College of Education for Human Sciences

Abstract

Abu Al- Hassan ibn Al-Jiyab is a well-known figure and writer who excelled in writing the Diwani letters in the era of Bani Al-Ahmar in Granada in Andalusia (635-897A.H. / 1237-1492A.D.), and he could go forward in it, till it got settled in terms of form, methods and content.

The character of Abu Al- Hassan is one of the prominent figure in the history of Granada, he has a strong personality having poetic, administrative and political skills, and he was represented to some extent as one of the figures of the Diwani writing in the era of Bani Al- Ahmar, he has moved a little from the influence of the writing of the Al-Mohadeen, and perhaps the beginning of artistic creativity in Andalusian literature in the era of Bani Nasr, and the era of political stability of their state.

He was one of the most distinguished writers who gave the Andalusian literature a great magnificence, he was participating in the literature debates made by writing divan, and he was showing his promptitude, and he was joking with writers. He was praised by poets and writers, one of them his follower Ibn Al-Khateeb who said about him: " I was disciplined by Sheikh, the boss, owner of the higher pen, Abi Al-Hassan bin Al-Jiyab", and he established many books in different fields.

He grew up Bani Nasr (Bani Al-Ahmar) since he was a young man, he wrote about their sultans "fifteen years or more", and he served six of them, he wrote poetry about them, like describing palaces and factories

and what is written on graves, till he became the head of writing and then he ran writing and ministry, and he was titled with the owner of two ministries till he died.

المقدمة :

يعد ابو الحسن بن الجيَاب من الشخصيات اللامعة في تاريخ مملكة غرناطة ، فهو شخصية قوية انفردت بمهاراتها الشعرية والادارية والسياسية، ومثلت الى حد ما علم من اعلام الكتابة الديوانية في عصر بني الاحمر، وما وصل اليه فن الكتابة الديوانية آنذاك.

ترأس ديوان الانشاء في مملكة بني الاحمر، وشارك في المناظرات الادبية التي كان يعقدها الكتبة في ذلك الديوان ، وكان يظهر في ذلك سرعة بديهة عزَ نظيرها، وكان صاحب الغاز وطرف مع الكتاَب. امتدحه معظم من عاصره من الشعراء والفقهاء والكتَاب وعلى رأسهم تلميذه ابن الخطيب. وله كتب عدة في شتى الاغراض حتى قيل عنه (شيخ الكتابة وبانيها) .

نشأ في كنف بني نصر (بني الاحمر) بغرناطة واتصل بخدمتهم منذ ان كان يافعاً، وكتب عن سلاطينهم خمسين سنة او اكثر، خدم خلالها ستة منهم وقال فيهم الاشعار ، منها في المديح، ووصف القصور، والمصانع، وما يكتب على القبور، وقد تدرج في حظوته عند مخدوميه، حتى نال رئاسة الديوان(ديوان الكتَاب)، وبعد ذلك تقلد الوزارة حتى لقب بذي الوزارتين، وظل كذلك حتى وفاته.

وقد آثرنا اعتماد المنهج الوصفي والتاريخي في كتابة هذا البحث ، فحددنا الاطار التاريخي للشخصية ونشأتها وظروفها البيئية والثقافية وما الى ذلك من جوانب لصيقة بحياته ، والتي كانت ذات تأثير مباشر او غير مباشر على ما قدمه سواءً اكان ذلك في مجال الكتابة ورئاسة الديوان، او في المجال الفني والادبي. وذلك من خلال التعامل والاحتكاك المباشر مع ابرز المصادر والمراجع التاريخية وكتب التراجم ذات العلاقة .

أسمهُ ونَسَبهُ وكُنيتهُ:

هو علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الانصاري الغرناطي، يكنى أبا الحسن، ويعرف ويلقب بأبن الجيّاب[١]، شيخ العدويتن في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية[٢]، ووزير أندلسي غرناطي انصاري، ورئيس ديوان الكتّاب بمملكة بني نصر (بني الاحمر) بغرناطة، ولد في غرناطة في جمادى الأولى عام ٦٧٣هـ/ تشرين الثاني سنة ١٢٧٤م، وبها نشأ وترعرع، وأخذ العلم عن مجموعة من علمائها[٣].

يعود نسب ابن الجيّاب إلى الانصار، وهو نسب أصيل معروف، وعندما تحدث ابن الخطيب عن سكان غرناطة في كتابه "الاحاطة"، ذكر أن أنسابهم: "يكثر فيها القرشي والفهري والاموي، ... والانصاري، ... وكفى بهذا شاهداً على الأصالة، ودليلاً على العروبية"[٤]. وابن الجيّاب كما ذكرنا يعود نسبه إلى الانصار، وهم جماعة من أهل المدينة من الصحابة يرجعون إلى الاوس والخزرج، وعُرفوا بالانصار لنصرتهم رسول الله (ﷺ)[٥]، فأبن الجيّاب صريح النسب عريقه، كريم المحتد، ويركز ابن الجيّاب كثيراً على هذا النسب عندما يتعرض إلى مدح ملوك غرناطة وسلاطينها[٦].

أسرتهُ:

لم تسعفنا المصادر التاريخية وكتب السير والتراجم التي ترجمت لأبن الجيّاب، وتحدثت عنه وأوردت بعضاً من أخباره، بمعلومات وافية عن أسرته، ولا عن أولاده، ولا نعرف من اشتهر بعده من أسرته. إلا اننا ومن خلال تتبعنا لسيرته وقصائد ديوانه بحثاً عما يشفي الغليل ويضيء السبيل، تبيَّن لنا أن له اثنين من الأولاد الأول ويكنى "أبا القاسم" وأنه في أغلب الظن توفي صغيراً وقد رثاه والده بقصائد طويلة، بكاه فيها أحر البكاء، نذكر قوله في إحدى هذه القصائد:

أمن بعدما أودعتُ رُوحيْ في الثَرى ... وَوَسّدت منّي فَلْذة القَلبِ مَرمْسَاً

هو البينُ حتماً، لا لعلّ ولا عسَى ... فما بالُ نفسي لمْ تفضِ عندَهُ أسَى

وَما لفؤادي لمْ يَذبْ فيهِ حَسَرةً ... فتبّاً لهذا القلب سُرعانَ مَا قَسا

ومَا لجفوني لا تَفيضُ مورّداً ... مِنْ الدمّعِ يَهمَي تارةً ومورَسّا

إلى أن يقول:

وبعد فراقُ ابني أبي القاسم الذي ... كسانيَ ثوْبَ الثَّكْل لا كان ملبسا

أؤمَّل في الدنيا حياة وأرتضي ... مقيلاً – لدى انبائها – ومُعَرَّسا

وقد شعر ابن الجيّاب بأن الحياة بفقده قد صارت جَحيماً لا يُطاق، فيقول في آخر القصيدة:

تغمدك الرحمنُ بالعفو والرضى ... وكرَّم مثواك الجديدُ وقدَّسا

وألـف مِنّـا الشـمل فـي جنـة العُـلاَ فنشـرب تسـنيماً ونلـبسُ سندسـا[٧]

أما ولده الثاني، فلم تذكر المصادر اسمه ربما لصغر سنه، لكنها ذكرته في زيارة والده إلى شيخه الصوفي ابي عبدالله الساحلي بمالقة*، قال ابن الخطيب في ذكر ابن قُعنَّب الأزدي: "حدثني ملازمه، وقفٌ عليه، ابو القاسم بن الشيخ الرئيس ابي الحسن بن الجيّاب، وقد اعمل والده رحلة إلى مالقة لزيارة شيخه الذي تلمذ له... واستصحب ولده الصغير، فسأله عن سفر ابيه، فقال: نعم، واحتمل أخي، فقال أظنه منذ ولد كان غير مغتطس، فحمله الشيخ فغطسَّهُ"...[٨].

وخلاصة القول: فأن المصادر لا تتحدث مطلقاً عن أسرة ابن الجيّاب ولا عن حياته داخل أسرته، وربما يرجع هذا إلى أن كتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي كانت فقيرة جداً، وكان الاهتمام منصباً على الشخصية نفسها دون التطرق إلى الحياة الخاصة للشخصية، أو أن تكون هذه الشخصية شهيرة جداً بحيث تطغى على كل الجوانب الأخرى التي تتعلق بالبيئة الذاتية لها، أو أن تكون موهبتها فريدة جداً مما يجعل الاهتمام منصباً أيضاً على أعماله فقط دون إثارة جوانب أخرى قد لا تكون لها أية فائدة. وربما يقودنا هذا إلى القول: بأن ابن الجيّاب ينحدر من أسرة فقيرة لم تنل حظاً من الاهتمام، وما بحوزتنا من مادة تاريخية لا يقودنا إلى شيء عن حياته الأسرية سوى ما أوضحناه آنفاً.

حياتهُ وعملهُ:

عاش ابو الحسن وترعرع في كنف بني نصر (بني الاحمر) فقد اتصل بخدمتهم منذ ان كان يافعاً، وكتب عن سلاطينهم: "خمسين سنة أو ينيف"[٩]، خدم خلالها ستة منهم[١٠]، وقال فيهم الأشعار منها في المديح، ووصف القصور، والمصانع، وما يكتب على القبور[١١]. وقد تدرج في حظوته عند مخدوميه، حتى نال رئاسة الكتّاب لدى سلاطين غرناطة لأعوام عديدة وأزمنة مديدة، وبعد ذلك تقلّد الكتابة والوزارة، حتى لُقب بذي الوزارتين، إذ عمل في ديوان الانشاء* في عهد السلطان محمد الفقيه[١٢] (٦٧١-٧٥١هـ/ ١٢٧٢-١٣٥٠م) تحت إمرة ابي عبدالله بن الحكيم*، واستمر في خدمة السلطان محمد المخلوع (٧٠١-٧٠٨هـ/ ١٣٠١-١٣٠٨م) [١٣]، ثم عن السلطان نصر بن محمد ابي الجيوش (٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٨-١٣١٣م) حيث خلف ابا عبدالله بن الحكيم في رئاسة الكتّاب[١٤]، ثم عن السلطان ابي الوليد اسماعيل بن فرج (٧١٣-٧٢٥هـ/ ١٣١٣-١٣٢٤م) [١٥]، ثم عن ولده السلطان ابي عبدالله محمد بن اسماعيل (٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٤-١٣٣٢م) [١٦]، ثم عن السلطان ابي الحجاج يوسف الأول (٧٣٣-٧٥٥هـ/ ١٣٣٢-١٣٥٤م) [١٧]، وقد قلّده الوزارة إضافة إلى رئاسة الكتّاب[١٨]، وظل كذلك حتى وفاته.

وكانت وظيفة الكاتب من الوظائف المرموقة في مملكة غرناطة النصرية، إذ وجدت في عهد السلطان محمد الأول الغالب لله الذي اتخذ كتّابهُ من بين الرجال الذين تتوافر فيهم شروط ومواصفات معينة. وقد مارس ابن الجيّاب خطة الكتابة في ديوان الانشاء – بصفته كاتباً ثم رئيساً للكتّاب – كونه من أهل العلم والفضل والأدب، إذ كانت تستلزم الكتابة في هذا الديوان: "العلم بكل نوع من أنواع الكتابة والاشتمال على البيان الدال على لطائف المعاني التي هي زُبد الافكار، وجواهر الألفاظ، التي هي حلية الألسنة... وزيادة العلم، وغزارة الفضيلة، وذكاء القريحة، وجودة الرؤية"[١٩]. فضلاً عما كان يتمتع به من ثقافة كبيرة، ذلك ان الحكام يقربون المالكين لزمام العربية واحتقار من قلّ نصيبه منها، ومن هنا كان تعلم العربية والتمكن منها ضرورة لمن يريد أن يصل إلى ديوان الانشاء[٢٠].

وعلى الرغم من تعاقب السلاطين على الحكم، والتناحر فيما بينهم، الا ان ابا الحسن ظل حائزا على ثقتهم، لم تتبدل به الأحوال، بتبدل الدول، بسبب اخلاصه لصاحب الأمر، فقد كان يؤمّر فيأتمر، "جاداً على الخدمة"[٢١]، "غيوراً على الخطة"[٢٢]. قال عه ابن الخطيب: "استعانت به السياسة فدارت فلاكها على قطب شباة يراعه، وتعاقبت الدول، فلم ترّ له بديلاً، ولا وجدت لسنّة اصطباغه تبديلاً"[٢٣]، إلا أن ابن الخطيب غمزّ من قناة شيخه، وجعله مشاركاً – بطريقة ما – في مقتل السلطان أبي عبدالله محمد بن إسماعيل عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م، حيث يقول: "... تولى كبرها شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، مرتكباً منها وصمة محت على غرُر فضله إلى كثير من خدّامه ومماليكه..." [٢٤].

نشأتهُ وثقافتهُ:

نشأ أبو الحسن نشأة ثقافية واسعة، ونهل من العلوم والآداب ما وسعه ذلك، حتى أصبح مبرزّاً ساعده في ذلك توّقد ذهنه[٢٥]، ونقاء قريحته، وايثار السلاطين للعلماء والأدباء، ومشاركة كثير منهم في العلم والأدب. كما أن خدمته في ديوان الانشاء، وتوليه الوزارة، ساعده على الاتصال بعلماء وأدباء عصره الذين كانوا يفدون على غرناطة، حيث الاشعاع الفكري والثقافي في الأندلس، ومجمع العلماء والأدباء آنذاك. كذلك فان عمله أتاح له التنقل في بعض البلدان في مهمات رسمية عن سلاطينه، التقى خلال تنقلاته بعلماء وأدباء وكتّاب تلك البلاد، فأفاد منهم وأفادوا منه، لتشكل رافداً من روافد ثقافته.

لذلك يمكن القول بأن الثقافة التي اكتسبها ابن الجيّاب، وبرزت بصماتها في شعره، ونثره، وكتاباته، ودروسه التي كان يلقيها على طلابه، هي المحصول الكبير الذي استطاع الحصول

عليه من خلال دراسته وعمله ببلاط بني الاحمر، فقد عاش أبو الحسن في وسط بيئة ثقافية متعددة المعارف تزخر بمختلف العلوم، وقد مكنتّه هذه البيئة الخصبة، من أن يرتوي من صنوفها المتعددة، ولقد اعتنى أبن الجيّاب خلال ذلك بتثقيف نفسه أيمَّا عناية، وبذل في ذلك جهداً كبيراً، ويظهر هذا الاهتمام جلياً وواضحاً في اتصاله بشيوخه وارتباطه بأدباء عصره، وما كان يطالع من مؤلفات الأولين، من كتب اللغة والأدب، والتاريخ، فتعددت بذلك مشارب ثقافته، يجمع بين الأدب وبين التاريخ وأيام العرب، فهو في: "تصريف الافعال ينسيك سيبويه، وفي علم اللغة يعفي ابن درستويه، وفي الصنعة البديعية والبيانية يزري بأبن سماك، وينسي مآثر ابن سكاك... عارف بأيام العرب ووقائعها، محصل لمآثرها وبدائعها"(٢٦).

ومجمل القول: فإن الثقافة التي اكتسبها ابن الجيّاب، كانت متعددة ومتنوعة، إلاَّ أن عنايته بالأدب شعراً ونثراً غلبت على اهتماماته الأخرى. وأمكن بفضل غزارة معارفه وسعة ثقافته وسرعة ذكائه، وعنايته الشديدة، أن يكون نجماً ساطعاً من نجوم الأدب في عصره.

تعليمهُ وشيوخهُ:

يجدر بنا ونحن نتحدث عن شخصية أبو الحسن بن الجيّاب أن نذكر شيوخ عصره الكبار الذين تتلمذ على أيديهم، وكان لهم الأثر الكبير في تشكيله الثقافي والمعرفي، ليتبيّن لنا من خلالهم العلوم والمعارف التي تلقاها على أيديهم، حتى تتضح لنا الصورة التي تعلّم عليها ابن الجيّاب، وهذا سيقودنا إلى معرفة المكونات والروافد الأساسية التي شكلت وبلورت ثقافته.

وقد ذكر ابن الخطيب أن ابن الجيّاب كتب له شيوخه الذين تتلمذ عليهم، فمنهم من لقيه وأجازه إجازة عامة، ومنهم من أجاز له ولم يلقه(٢٧). فمن مشايخه الذين تتلمذ عليهم وأجازوه إجازة عامة: الشيخ أبو جعفر الثقفي*، نشأ بين يديه وقرأ عليه كثيراً، ومن أهم العلوم التي تلقاها على يديه القراءات، وعلوم العربية والتفسير والحديث، ومنهم أيضاً أبو الحسن بن فضل المعافري* الذي قرأ عليه القرآن الكريم، وأبو عبدالله بن رُشيد الفهري* الذي قرأ عليه الحديث وعلوم القراءات، وأبي عبدالله المرّحل*، وأبو الحجاج الساحلي*.

هؤلاء الشيوخ وغيرهم لقيهم ابن الجيّاب، ودرس على أيديهم مختلف العلوم اللغوية، والشرعية، والفرائض، والحساب والأدب: شعره ونثره، وحصل على إجازة عامة من كل هؤلاء الذين سبق ذكرهم.

ولم يكن ابن الجيّاب ليكتفي بهؤلاء فقط ممن قابلهم، إذ تنقل لنا المصادر التاريخية وكتب التراجم مجموعة من علماء ذلك العصر ممن لم يلتقي بهم ابن الجيّاب وأجازوه إجازة عامة أيضاً، وفي ذلك يقول ابن الجيّاب: "أما من اجازني فعالم كثير من اهل المغرب والمشرق منهم أبو

العباس بن الغماز* قاضي الجماعة بتونس، وأبو عبدالله بن صالح الكتاني* خطيب بجاية، والشريف أبو علي الحسن بن طاهر بن أبي الشرف بن رفيع الحسني*، وأبو فارس عبد العزيز الهواري*، وأبو محمد بن هارون القرطبي*، وأبو علي ناصر الدين المشدالي*"[٢٨] وغير هؤلاء كثير. فقد ذكر المقري: "ومن مشايخه [يقصد ابن الجيّاب] أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي وخلق"[٢٩].

هؤلاء وغيرهم ممن سبق ذكرهم هم شيوخ ابن الجيّاب، بعضهم تتلمذ على ايديهم وسمع منهم وأجازوه، وبعضهم الآخر لم تتح له فرصة اللقاء بهم والأخذ منهم. وقد استفاد أيمَّا إفادة من علمهم والأخذ بطرائقهم، ومما لاشك فيه أنهم مجموعة من أعلام الأندلس، اختلفت اتجاهاتهم وتنوعت مشاربهم، واختلافهم يمثل تنوع واختلاف الحياة الفكرية التي كانت تسود غرناطة في تلك الفترة من جهة، ويمثل عناية ابا الحسن واهتمامه من جهة ثانية، رغبة منه في ان يسلك طريق العلم، وان يرتوي من بحره، ليصل إلى ما كان يطمح إليه من مكانة علمية مرموقة.

ثناءُ العلماءِ عليهِ:

كانت ثقافة ابي الحسن ثقافة واسعة شاملة، فاق أقرانه بها، وكان لهم قدوة في تحصيل العلوم والمعارف، فقد كان له مشاركة في كثير من العلوم والآداب والفقه وغيرها، وقد اثنى عليه كل من ترجم له، واعترافاً بعلمه وفضله، قال عنه ابن الخطيب: "لا تمر مذاكرة في فنٍ، إلا وله فيه التبريز، ولا تُعرض جواهر الكلام على محكمات الافهام إلاّ وكلامه الابريز"[٣٠].

أما ابو الوليد بن الاحمر فقد قال عنه: "... وغرَّب ذكر علومه العقلية والنقلية وشرَّق، وأشام إفصاح يراعة وأعرّق"[٣١]. في حين قال عنه ابن خلدون: "شيخ العدوتين في النظم والنثر، وسائر العلوم الأدبية"[٣٢]. وقال عنه ابن القاضي: "كان أديباً نحوياً لغوياً، شاعراً، ناظماً، ناثراً، ذاكراً للتاريخ، حافظاً للكثير من شعر المولدين"[٣٣]. كما كان: "عارفاً بأيام العرب ووقائعها"[٣٤]. وأشار بعض المؤرخين إلى انه كان مشاركاً في كثير من العلوم والفنون، إماماً في الفرائض والحساب، مشاركاً في علم التصوف، عارفاً بالقراءات، والحديث، حاملاً راية المنظوم والمنثور، قائماً على العربية واللغة، متبحراً في التاريخ والآداب، إماماً في البلاغة والأداب[٣٥]. وقال عنه تلميذه ابن الخطيب أيضاً: "... وكلما ظهرت علينا – معشر بنيه – من شارةٍ تُحلَّى بها العين، أو إشارةٍ كما سُكبَ اللجَّين، فهي إليه منسوبة وفي حسناته محسوبة"[٣٦].

أما صاحب نيل الابتهاج فقد قال عنه: "شيخ المكتبة ورئيسها، وكبير الطبقة وعالمها، العالم المتفنن، الأوحد الفاضل الأديب البليغ الشهير الصالح الخاشع النبيه المبارك، أخذت عنه جملةً من تآليفهِ وسمعت عليه كثيراً في فنون، وانشدني نفسه:

أرى الـــدَّهر فـــي الوانـــه مُتقلبـــاً فأيـــاك لا تأمنـــه يومـــاً فتُخـــدعاَ

فمـــا هـــو إلاَّ مثـــلُ مـــا قـــال قائـــلٌ (مِكـــرَّ مَفـــرٌّ مُقبـــلٍ مُـــدبرٍ معـــاً)[٣٧]

صفاتهِ وأخلاقهِ:

إذا تتبعنا المصادر التي ترجمت لإبن الجيّاب وجدناها تمدحه وتثني عليه كثيراً، فمثلما أثنى على علمه من ترجم له، فقد أثنوا – أيضاً – على ما يتمتع به من صفات شخصية، وما هو عليه من خلقٍ ودين وورع، وحب للخير، والتقشف، فقد كان يتمتع بنفسٍ: "هذّبت الآداب شمائلها، وجادت الرياضة خمائلها، ومراقبة لرّبه... دين لا يعجم عوده"[٣٨]، كما كان: "صاحب مجاهدة، وملازمة، وعبادة على طريقةٌ مُثلى من الانقباض والنزاهة، وايثار التقشف"[٣٩]، "محباً في أهل الخير والصلاح"[٤٠].

وعُرفَ عنه خلال حياته حبه الشديد للناس ودفعه الظلم عنهم، فأشتهر بالخير والحمل على أهل الظلم[٤١]. وكان يكره الغيبة والنميمة، فكان يُشغل الكتاّب بالالغاز والطرّف، يقول عنه تلميذه ابن الخطيب في ذلك: "ويرى أنّ طريقها في اللغو اسلم الطرقات، ويشغلنا بحلوائها عن اغراض الألسنة واهوائها"[٤٢].

وشخصيته مرموقة كشخصية ابن الجيّاب الذي ظل يعمل لفترة طويلة تقترب من الخمسين عاماً بديوان الانشاء، حتى ظفر برئاسته، ثم اسندت إليه الوزارة إضافة إلى رئاسة الديوان، لاشك أنه كان على سيرة حسنة، وأنه كان محمود الأخلاق من قبل العامة والخاصة، وإلا لما تبوأ مكانة عالية مثل هذه المكانة التي كانت مطمحاً للعديد من معاصريه من الأدباء والشعراء والكتّاب. يقول عنه ابن الخطيب: "وما عسى ان أقول في إمام الأئمة، ونور الدياجي المدلهمة، والمثل السائر في بُعد الصيت وعلوّ الهمة"[٤٣].

وبالجملة فأن ابن الجيّاب كان على قدرٍ كبير من الأخلاق والكرم وحسن المعشر، ومعدوداً من أهل الخير والصلاح ومن اصحاب الفضل والدين: "حتى أصبح الدهر راوياً لاحسانه وناطقاً بلسانه"[٤٤] لما كان يحمله من صفات وخلال حميدة وما كان يتميز به من فطنةٍ وذكاء.

وكان ابن الجيّاب يشارك في المناظرات الأدبية التي كان يعقدها الكتبة في ديوان الانشاء، وكان يظهر في ذلك سرعة بديهة عزّ نظيرها. قال ابو القاسم بن جزّي*: "خرج علينا من

بيت الكتابة من حضرة غرناطة، شيخنا الرئيس ابو الحسن بن الجيّاب، ونحن معشر الكتّاب مجتمعون، فأنشدنا – بديهة –، مخاطباً للجميع:

أ أصـــحابنا ياصـــاحبُ الأدبـــاء ويـــا نخبـــة الكتّـــاب والشُـــعراء

لأعطيـتهم فصـلّ الخطـاب ووصْـله فيعجـز عـنكم واصـلٌ بـن عطـاء[٤٥]

إضافة إلى ما ذكره ابن الخطيب باشغاله للكتّاب بالالغاز والطُرف، فقد كان من المولعين بحب الالغاز والطُرف يفاكه بها جلساؤه أكثر الأوقات، ويرى انها افضل طريقة لتزجية الوقت والابتعاد عن اللغو[٤٦]. وكانت جلساته الأدبية تشبه إلى حد كبير المجالس الأدبية لما كانت تدور فيها من مفاكهات ومبارزات لغوية وشعرية، فكان يشغل جلاسه بروعة الغازه.

وهكذا نرى ابن الجيّاب يُضفي نوعاً من الدماثة والحيوية على منتداه، حتى لا يشعر جُلاسه بالملل والفتور. وتمثل أشعار الألغاز التي تركها خير دليل على ذلك.

ولمعارفه الكثيرة وبروزه في كثير من العلوم، وتمتعه بتوقد الذهن، وسماحة النفس، وغزارة الحفظ[٤٧]، وماهو عليه من دين وورع، استحق لقب "شيخ طلبة الأندلس"، كما نعته بعض من ترجم له[٤٨].

تلاميذهُ:

لمع نجم ابن الجيّاب، في سماء غرناطة واشتهر ذكره، واحتل مكانة مرموقة بين علمائها وأدبائها وكتّابها، حتى تجاوزت شهرته "البحر الأخضر والخليج الأزرق"[٤٩].

وانتفع به كثير من أعلام القرن الثامن الهجري، وتتلمذوا على يديه، ورووا عنه ونهلوا من علمه وأدبه، أمثال ابن الخطيب اشهر تلامذته، الذي قال عنه: "هو شيخي الذي تأدبت بين يديه"[٥٠] وفي موضع آخر: "وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى الصالح الفاضل ابي الحسن بن الجيّاب"[٥١]، وفي موضع ثالث: "وهو شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ"[٥٢]، وقال صاحب الديباج المذهب: "وهو شيخ ابن الخطيب مؤلف كتاب الاحاطة، تأدب به وتخرج بين يديه"[٥٣]، أما صاحب درة الحجّال فقال: "أخذ عنه ابن الخطيب السلماني، وتأدب بين يديه"[٥٤]. كما أخذ عنه أبناء ابن الخطيب الثلاثة[٥٥]، وابن خاتمة الانصاري* وعبد الحق بن عطية المحاربي* وعلي بن ابراهيم الانصاري المالقي* وكان من طلابه النابهين ومن ذوي النجابة والفصاحة، وبرهان الدين بن فرحون* وابن عرفة* وابو محمد عبدالله بن جزّي*. وروى عنه أبو القاسم بن رضوان النجاري* وغيرهم كثير، غير إننا اقتصرنا على أهم تلاميذه وأشهرهم.

أصدقاءهُ ومَن لازمَهُ:

لقد عاش ابن الجيّاب عمراً طويلاً، وقضى معظم هذه المدة التي عاشها في بلاط بن الاحمر بغرناطة، ومكنه عمله مع ملوكها من الاتصال برجال السياسة والعلم والأدب في زمانه، وساعدته طبيعة عمله في ديوان الانشاء على الاتصال المباشر بأعلام عصره، من كتّاب وشعراء، وكان من الطبيعي ان تنشأ بنية وبين هؤلاء صداقات وعلاقات اشارت بعض المصادر إلى جزء منها. فهذا صاحب "المرقبة العليا" يتحدث عن علاقته بالقاضي ابي القاسم الشريف السبتي*، وما كان بينهما من علاقة حميمة وصداقة متينة(٥٦). وقد وجد ان الجيّاب في القاضي ابي القاسم السبتي شخصية أدبية محبوبة، وعُرف عن ابن الجيّاب حبه الشديد وشغفه بالمذاكرة والمناظرة في الفنون الأدبية(٥٧)، فوجد عند ابي القاسم السبتي: "ما شاء من معنى رقاق ولفظ رقراق، وطبع بالمعارف دفاق، ... وذهبت إلى مقارضته بالقريض، ومساجلته في الطويل والعريض"(٥٨).

ويتحدث ابن الخطيب عن هذه العلاقة فيقول: نشأت بينهما "صداقة صادقة ومودة مستحكمة"(٥٩)، وكانت تجري بينهما خلال ذلك ضروب من المخاطبات، وبدائع وطرائف من المفاكهات(٦٠).

وكان من حسن حظ ابي القاسم السبتي انه عُين في ديوان الانشاء فوجد في ابن الجيّاب رئيس ديوان الانشاء آنذاك، خير من يعرف فضله ويقدّر مواهبه فلقى من شيخ الكتّاب أبي الحسن بن الجيّاب من الاحتفاء والتكريم ما عوضه عن فراق الأهل والوطن(٦١).

كما نشأت بينه وبين تلميذه ابن الخطيب – وكان مقربا إليه – علاقة مودة وصداقة قوية. وكانت تجري بينهما أثناء ذلك مخاطبات ومراسلات شعرية، وقد عبر كل منهما عن هذه الصداقة في كثير من الاشعار التي كانت تجري بينهما(٦٢).

لقد كانت بين ابن الجيّاب وتلميذه ابن الخطيب صداقة كبيرة، والصفات التي يسبغها ابن الخطيب على ابن الجيّاب تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، الصلة القوية التي كانت تربطه به، وقد بادل الشيخ تلميذه نفس الشعور لما عهده فيه من نباهة وحدة ذهن وسرعة جواب(٦٣).

والشيء الذي تجدر الإشارة إليه ونحن نتحدث عن علاقة إبن الجيّاب بإبن الخطيب هو ان هذه العلاقة قد تركت خلفها مجموعة من الاشعار كانت تجري بينهما أثناء ذلك في شكل مخاطبات ومراسلات شعرية لا مجال لذكرها.

وكان من أصدقاء ابن الجيّاب الفقيه ابو القاسم بن ابي العافية* وكانت تجري بينهما كذلك مراسلات شعرية تدل على عمق العلاقة وقوة الصداقة التي كانت تجمعهم. وقد كتب ابو القاسم بن ابي العافية قصيدة بديعة في غرض العتاب يقول في أولها:

أطيـرْ فـؤادي قـل إذاً مـن أطاركـا لأخـذ قبـل الفـوتِ بـالموتِ ثاركـا[٦٤]

فأجابه أبن الجيّاب بقوله:

خليلـي لَـكَ العُتْبـيَ ومـا أنْـتَ مُـذنِبٌ ولكِـنْ عَسَـاهَا أنْ تَـرُوّضَ إزوِرَارِكَـا

اتـاني كِتـابٌ مِنـكَ لـمْ أرَ وجَهَـهُ فَيَاليـتَ شِـعري أنـي طِـرتُ مَطارَكـا[٦٥]

مما تقدم يتبين لنا أن ابن الجيّاب، كانت تربطه علاقات قوية وصداقات حميمة، مع معاصريه من الأدباء والشعراء، وكانت هذه العلاقات فرصة لقرض الشعر وتبادله، وقد حفظت لنا كتب التراجم والسير وبعض الدواوين جزءاً غير يسير عمّا كان يجري بين كثير من الشعراء والأدباء في تلك الفترة من مساجلات ومعارضات.

ديوانهُ وآثارهُ النثرية:

خلّف ابو الحسن بن الجيّاب ديوان شعر جمع أغلبه تلميذه ابن الخطيب، وهو يقول في ذلك: "... وشعره كثير مدوّن، جمعته، ودونته، يشتمل على الاغراض المتعددة من المعشرات النبويات، والقصائد السلطانيات، والاخوانيات، والمقطوعات الأدبيات، والالغاز والاحجيات"[٦٦]. كما أشار المقري إلى هذا الديوان أيضاً ضمن مؤلفات ابن الخطيب بقوله: "... وتدوين شعر شيخه ابن الجيّاب"[٦٧]. أما ابن القاضي فلم يذكر هذا الديوان، وإنما قال: "... وله اشعار كثيرة"[٦٨]. وما زالت أبيات من شعره تزين قصري جنة العريف والحمراء بغرناطة، ومن الأشعار المنسوبة اليه أبيات بالقاعة الرئيسة لبرج الاسيرة في قصر الحمراء يقول فيها:

بـرجٌ عظـيمُ الشـأن فـي الابـراجِ قَـدْ باهـتُ الحمـراءُ منـهُ بِتـاجِ

قلهـرةٌ ظهـرتْ لَنـا واسـتبطنَتْ قصـراً يضـيء بنـورهِ الوَهَـاجِ

فيهـا بـدائعُ صُـنَعةٍ قـد نـوظرتْ نسـباً مِـنْ الأفـرادِ والازواجِ

مـن آل سـعدٍ مِـنْ بنـي نصـرٍ ومَـنْ نصـروا وآوَوا صـاحبِ المعـراجِ[٦٩]

أما اثاره النثرية، فقد أبان فيها عن مهارات فائقة في تدبيج الرسائل الديوانية، وصياغة الخطابات الرسمية بأساليب ممتعة أوحت بتفوقه على نظرائه من بني عصره، وسعة اضطلاعه جمع تلميذه ابن الخطيب أجزاءً منها في مؤلف سماه: "تافةٌ من جم ونقطةٌ من يمْ"[٧٠].

قال المقري في أدب أبي الحسن: "ويظهر لي أن نظمه أعلى طبقة من نثره، وعلى كل حال فهو لا يتكلف نظماً ولا نثراً"(٧١). أما تلميذه ابن الخطيب فقال عن أدبه بأنه: "جامع بين حصافة اللفظ ولطافة المعنى"(٧٢).

أسلوبهُ ورسائلهُ الديوانية:

أنشأ ابو الحسن – اثناء خدمته في ديوان الانشاء – رسائل ديوانيه كثيرة، في شتى الاغراض، قال عنها تلميذه ابن الخطيب: "اما نثره فسلطانيات مطولات"(٧٣)، وقد أثنى عليها مترجموه، فقال عنه ابن الخطيب أيضاً: "صدر الصدور الجلّة، وعلم من أعلام الملة، شيخ الكتابة وبانيها، ومتولي ايام خدمتها وسنيها..." (٧٤)، وفي موضع آخر: "... والحق ان نعدل عن سلطانياته لاشتهارها"(٧٥)، وفي موضع ثالث: "فاضل الخطة وباري القوس"(٧٦). وقال عنه ابو الوليد بن الاحمر: "كان قد امتطى من ديوان الانشاء جواداً تقدم بها، مجلياً، وغدا كل منتمٍ لهذه الطريقة مصلياً"(٧٧)، أما المقري فقال عنه: "... كان ابو الحسن بن الجيّاب رئيس كتّاب الاندلس وهم رؤوساء غيرهم"(٧٨)، وفي موضع آخر وصفه بأنه: "لا يتكلف نظماً ولا نثراً"(٧٩). وقال عنه ابن القاضي: "له قلم فصيح، وباعٌ في الكتابة والخطابة، مديد فسيح"(٨٠).

وعلى الرغم من ذلك فقد ضنّت علينا المصادر التي ترجمت له بإيراد جزء من رسائله الديوانية – على كثرتها – ماعد المقري الذي اورد له رسالتين ديوانيتين، إحداهما إعلام سلطان المغرب بعقد صلح مع ملك قشتالة(٨١)، والثانية في موضوع العزاء والهناء لسلطان المغرب أيضاً(٨٢)، ربما اسعفتنا لتلمّس طريقته بالكتابة، وما يميز أسلوبه الانشائي في رسائله الديوانية.

أتصفت الرسالتان ببناء فني متماثل في رسوم المكاتبة، فقد تكونت كل واحدة منهما من مقدمة(٨٣)، يذكر فيها اسم المُرسِل والمُرسَل إليه، مع ذكر نعومتها، والدعاء للمخصوص بالرسالة، وازجاء التحية والسلام ثم الحمدلله. والصلاة على الرسول الكريم، وعلى اله وصحبه، مقرونة بالدعاء لصاحب الرسالة. وبعد ذلك يدخل إلى موضوع الرسالة والغاية التي انشئت من أجلها، ثم الخاتمة بالدعاء للمخصوص بالرسالة والسلام.

إلا ان الاسلوب يتباين في الرسالتين، حسب الغرض من الرسالة، ففي حين عمد إلى الايجاز في رسالة المعاهدة، نجده عمد إلى الاطناب – نسبياً – في رسالة العزاء والهناء، إلا ان هذا الاطناب، لم يكن منفرداً، أو قلقاً، مثلا قال بعد الحمدلله، والصلاة والسلام على الرسول الكريم (ﷺ)، وفي الرسالة الأولى: "أما بعد حمدالله الذي أولاكم ملكاً منصوراً، وفخراً مشهوراً، وأحيا بدولتكم العلّية لمكارم الاخلاق ذكراً منشوراً، والصلاة والسلام على سيدنا، ومولانا محمد

رسول الله الذي اختاره بشيراً ونذيراً، وشرح بهدايته صدوراً، وجعل الملأ الأعلى له ظهيراً، والرّضا على آله وصحبه الذين ظاهروه في حياته، وخلفوه في أمته بعد وفاته، فنالوا في الحالين فضلاً مسطوراً، وأجراً موفوراً"(٨٤).

وقال في الرسالة الثانية: "أما بعد حمد الله الواحد القهار الحيّ القيوم، حياة لا تتقيد بالاعصار، القادر الذي كل شيء في قبضته محصور بحكم الاضطرار، الغني في ملكوته فلا يلحقه لاحق الافتقار، المريد الذي بارادته تصريف الاقدار، وتقدير الآجال والاعمار العالم الذي لا تغرب عن علمه خفايا الاسرار، وخبايا الافكار، مالك الملك وأهله، ومدّبر بحكمته وعدّله، تذكرة لأولي الالباب، وعبرة لأولي الابصار، خلق الموت والحياة، لينقلنا من دار الفناء إلى دار القرار، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار، الذي نهتدي بهديه الكريم في الأيراد والاصدار والاحلاء والامرار في الشدة والرخاء والسرّاء والضراء، بسيره الكريمة الآثار، ونعتزيّ بالمصيبة به عمّا دهم من المصائب الكبار، وتقدم منه إلى ربنا شفيعاً ماحياً للازورار، وآخذاً بالحجز عن النار، ونعلم أننا باتباع سبيله تسعد سعادة الابرار، وبإقامه ملته، وحماية شرعته، ننال مرضاه الملك الغفار، والرضى عن آله وصحبه، وأوليائه وحزبه، الذين ظاهروه في حياته على اقامة الحق الساطع الانوار، وخلفوه في أمته قائمين بالعدل حامين للذمار..."(٨٥).

كما أننا نستبين مما سبق حذق الكاتب في تحميداته، بما وافق غرض الرسالة، فألفاظ القطعة الثانية – مثلاً – كلها تتحدث عن القضاء والقدر، وأن البقاء لله وحده "الحي القيوم حياة لا تتقيد بالاعصار، ... المريد الذي بارادته تصريف الاقدار، وتقدير الآجال والأعمار..."(٨٦)، ثم الاقتداء بالرسول الكريم (ﷺ) الذي "... نتعزّي به عمّا دهم من المصائب الكبار..."(٨٧). لذلك فالمتدّبر لهذا النص، يستطيع ان يتبين موضوع الرسالة، فهي له كالعنوان، وقد نقل الكلاعي عن الفتح بن جنّي قوله: "إذا كان المُرسِل حاذقاً أشار في تحميده إلى ما جاء بالرسالة من أجله"(٨٨).

ويستعمل أبو الحسن في لغته الكتابية أسلوبين متباينين لصيغة المتكلم، ففي رسالة المعاهدة يستخدم صيغة المفرد، في حين يستخدم صيغة الجمع في رسالة العزاء، ففي الرسالة الأولى "فكتبته كتب الله لكم عوائد السعادة، وحبكم من آلائه بالحسن والزيادة – من حمراء غرناطة – حرسها الله –..."(٨٩)، وفي الثانية: "فإنا كتبناه – كتب الله لكم عوائد النصر، وربط على قلبكم بالصبر – من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى..." (٩٠). ولربما كان استعماله صيغة المفرد مقصورا على المعاهدات، كونها لا تصح إلا بموافقة السلطان، في حين ان المواضيع

الأخرى قد تصحُ بغير ذلك، فالحزن – مثلاً – ظاهرة عامة، يشترك فيها السلطان وغيره، ولا يرتبط أحدهما بموافقة الآخر، على خلاف المعاهدات، فهي مقصورة على موافقة السلطان.

ويتمتع ابو الحسن باسلوب شيق ممتع، محبب للنفس، فهو يتحدث بأسلوب مسجوع غير متكلف، ولا منفر، فلا يلتزم حرفاً واحداً حين يعقد سجعاته في تراكيبه، فإذا احسن ان طول السجعة قد يؤدي إلى الملل، انحرف عن ذلك الحرف إلى حرفٍ آخر، كي يعقد سجعة أخرى في الفقرة ذاتها، لذلك نجد ان الفقرة الواحدة يتنازعها اكثر من سجعة. فمثلاً يقول في رسالته المعقودة للعزاء: "وكنّا طول حياته لم نجد اثراً ليفقد الوالد، لما اولانا من جميل العوائد، وكرم المقاصد، جزءا الله احسن جزائه، وأعاننا على توفية حقه وأدائه، ولمثل هذه المصيبة – ولا مثل لها – تُظلم الارجاء، ويضيق الفضاء، وتبكيه مسوّمة الجياد، ومعالم الجهاد، والسيوف في الاغماد وشتى العباد والبلاد، فلا تسألوا كيف هو عندما موقع هذا الخطب العظيم والحادث المعقد المقيم، والرزّية التي لا رزية مثلها، والحادثة التي أصيبت بها الملّة وأهلها، فوجّدنا لفقده يتضاعف مع الأناء، ويتجدد تذكار ما أسلف من أعمال الملوك الفضلاء، ولكنه أمرُ حتم، وقضاء من الله جزم، وسبيل يسلك عليها الأول والآخر، والآتي والغابر، وليس والله الا التسليم، لما حكم به العليم"[٩١]. وهو بذلك لم يأت بتراكيبه قسراً كي تؤدي مهمة السّجع، ولا يتكلف ألفاظه كي تتناسب مع السجعة المعقودة. ولربما استعمل السجع المركب في بناء سجعاته، أي أنه يستخرج من السجعة الواحدة سجعتين داخليتين: "واما بعد حمد الله الواحد القهار... مالك الملك وأهله، ومدبر الأمور بحكمته وعدّله، تذكرة لأولي الالباب وعبرة لأولي الابصار... والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار، الذي نهتدي بهديه الكريم في الايراد والاصدار، والاحلاء والامرار، في الشدة والرخاء والسراء والضراء، بسيره الكريمة الاثار"[٩٢]، فالسجعة معقودة على حرف الراء ادخل مرّة حرف الهاء ثم عاد إلى حرف الراء ومرة اخرى ادخل الهمزة وعاد إلى حرف الراء أيضاً.

أما الموازنة بين الجُمل فهي ظاهرة جلّية، يعقدها مقرونة بالاسلوب المسجوع أيضاً، مبدياً قدرة على امتلاك ناصية السجّع، والموازنة بين الجُمل، ففي رسالة المعاهدة يدعو للسلطان المخصوص بالرسالة بقوله: "السلطان الكذا ابقاه الله في ملك منيع الذمار، وسعد باهر الانوار، ومجد رفيع المقدار، وسلطان عزيز الانصار، كريم المآثر والاثار"[٩٣]. وفي رسالة العزاء يقول: "واما هذه البلاد الاندلسية – حماها الله – فهي وان فقدت من السلطان الأعلى ابي سعيد اكرم ظهير، ووقع مصابه منها محلَّ كبير، فقد لجأت منكم إلى من يحميها، ويكف بأس أعاديها،

ويبتغي مرضاة خالقها فيها. فلككم بحمد الله تعالى مقتبل الشباب، جديد الأثواب، عريق الانساب، أصيل الاحساب، ومجدكم جارٍ على أعراقه جري الجياد العراب"[٩٤].

ويعتمد ابو الحسن بن الجيّاب الأسلوب المُرسَل إذا ما تعرض لأمر لا يحتاج فيه إلى ابراز مقدرته اللغوية، أو البلاغية فتأتي معانيه واضحة، جلية لا لُبس فيها، ولا تحتمل التأويل، فيسرد المعلومة بالأسلوب الذي يوصلها بمعناها، دون أن يُجشّم نفسه عناء التكلّف والتصنّع، على إنّ هذا الأسلوب لمْ يكن منفصلاً عن الأسلوب المسجوع، فقد يستعمل الأسلوبين في الرسالة الواحدة، وها هو في رسالة المعاهدة يبدأها بالأسلوب المسجوع، لكنه ينحرف عنه إلى الاسلوب المُرسل حين يتحدث عن الصلح، وحيثياته، وأهدافه ومراميه، يقول في اعلام السلطان المخصوص بالرسالة عن الصلح: "... وكان خديمنا نقروز بحكم الاتفاق قد ورد اشبيلية لبعض اشغاله، فأستحضره وأخذ معه في امر الصلح وشرح أحواله، وأعاده إلى معضمكم ليستفهم ما عنده، ويعلم مذهبه وقصده، فأعيد إليه بأنه أراد المصالحة على صلح والده، مع هذه الديار النصرية، من غير زيادة على شروط تلك القضية، ولا يعرض لاسترجاع معقل من المعاقل التي اخلصت من يد النصرانية، وان يكون عقده على الجزيرة الخضراء ورندة، وغيرها من البلاد الاندلسية، فلابد من مطالعة محل والدنا السلطان أمير المسلمين ابي سعيد أيده الله، واستطلاع ما يراه، وحينئذٍ نعمل بحب نظره الجميل مقتضاه، واكد على نقروز في انه إن انقاد لهذا الامر فليعقد معه هدنة لامر من الدهر، بقدر ما يتسع لتعريفكم بهذه الحال واعلامكم، ويستطلع فيها نظر مقامكم، فما هو إلا إن عاد يوم تاريخ هذا الكتاب ملك قشتالة، وقد أجاب إلى الصلح وانقاد إليه، على حب ما شرط عليه، وأعطى مهادنة مدة شهر فبرير، ليعرف بها مقامكم، ويتعلم ما لديه"[٩٥].

لقد استخدم ابو الحسن أسلوباً سهلاً، بعقد جملته متضمنة معنى واضحاً، محلاة ببعض السجعات التي ترد عفو الخاطر، ولم تكن مقصودة لذاتها، وبذلك يكون قد امتلك الاسلوبين بحذق ومهارة دون تكلّف لالفاظٍ وعباراتٍ، ومعانٍ قد تذهب عن كتابته بريقها.

مرضهُ ووفاتهُ ورثاءهُ:

أصيب ابو الحسن بن الجيّاب بمرض الطاعون الذي تفشّى في حوض البحر المتوسط عام ٧٤٩-٧٥٠هـ/ ١٣٤٨-١٣٤٩م، وراح ضحيته عدد كبير من علماء الأندلس ورجال الدين والسياسة والأدب ومنهم ابن الجيّاب موضوع بحثنا، الذي "طال به المرض حتى أذهب جواهر بدنه"[٩٦]، وظل على هذا الحال حتى اختاره ربه إلى جواره ليلة الاربعاء الثالث والعشرون من شوال لسنة ٧٤٩هـ يناير ١٣٤٨م[٩٧]، وحملت جنازته ودفنت بباب البيرة "وكانت جنازته آخذة

نهاية الاحتفال"[٩٨] "حضرها السلطان فمن دونه"[٩٩]. وكان لوفاته الأثر الكبير على نفوس الادباء والشعراء والكتّاب فبكوه كثيراً بلوعة وحسرة وكيف لا يبكونه وقد كان شيخاً من شيوخهم وعلماً بارزاً من اعلام السياسة والادارة والأدب في غرناطة، فهذا الفقيه ابو عبدالله بن جزّي يرثيه بقصيدة طويلة يقول في أولها:

الم تَر أنّ المجدَ أقوتْ معالمهُ فأطنابُهُ قَدْ قوضّت ودعائمهُ
بَكتْ فقدكُ الكتّاب إذ كَانَ شَملهمْ يُؤلفهُ مِنْ رُوحِ فَضلكِ ناعمهُ[١٠٠]

كما رثاه تلميذه ابن الخطيب بقصيدة طويلة قالها على قبره خامس يوم دفنه، نذكر منها:-

ما للبراغ خَواضعَ الأعناقِ طَرقَ النَّعي فهنَّ في إطراقِ
وكأنما صَبغَ الشحوبُ وجُوهها والسُقمّ مِنْ جزعٍ ومِنْ إشفاق
ما للصحائف صوَّحتِ روضاتُها أسَفاً وكنَ نضيرَةَ الأوراق
ما للبيانِ كؤوسه مهجورةٌ غفلَ المديرُ لها ونامَ الساقِ
ما لي عدمتُ تجلّدِي وتصبّري والصبرُ في الأزماتِ من أخلاقِ
خطبُ أصابَ بني البَلاغةِ والحِجَا شبّ الزفيرُ بِهِ عن الاطواقِ
أمَّا وقَدْ أودَى "ابو الحسَن الرَّضا" فالفضلُ قَدْ أودى على الاطلاقِ[١٠١]

وهي قصيدة طويلة[١٠٢]، خلَّد فيها مآثر استاذه، وما كان يتمتع به من علم وفضل وخلال حميدة.

وأنشد القاضي ابو بكر القرشي قصيدة أولها:

هَيَ الآجَالُ* غايتُها نَفَادُ وفي الغاياتِ تمتازُ الجِيادُ[١٠٣]

وقال الفقيه القاضي أبو جعفر بن جُزَّي قصيدة في رثائه يقول في أولها:

أبُثُّكُما والصَبرُ للعَهدِ ناكثُ حَديثاً أملَّتهُ عَلَى الحَوادثِ[١٠٤]

لقد كان تأبينهُ عظيماً، وقيلت على قبره، كما رأينا قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض، فكان هذا التأبين غريباً لم يتقدم به عهدٌ بالحضرة لكونها دار ملك، والتجلّة في مثل هذا مقصورة على أولى الأمر. فمضى بسبيله رحمه الله، ليورث تلميذه لسان الدين بن الخطيب رتبته في الوزارة وخطته في الكتابة عند الملوك[١٠٥]، ويتسلم خاتمه*، فقد ذكر إبن الخطيب ان السلطان يوسف الأول سلمهُ خاتمهُ عند وفاة شيخهِ أبي الحسن إبن الجيّاب[١٠٦].

والله الموفق... وبه نستعين

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) ابو عبدالله لسان الدين محمد بن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، حققه وقدم له: محمد عبدالله عنان، (مصر، دار المعارف، لا تاريخ للطبع): ١٢٥/٤؛ ابو العباس احمد بن محمد المكناسي بن القاضي، درة الحجّال في اسماء الرجال، تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور، (ط١، القاهرة، دار التراث – تونس، المكتبة العتيقة، ١٩٧٠م): ٢٣٤/٣؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٨م): ٤٣٤/٥؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، (ط١، لا مكان للطبع، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٦٥م): ١٨٩/٢. بينما ورد أسمه في الكتيبة الكامنة "علي بن محمد بن علي بن سليمان الانصاري". ينظر: ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م)، ص١٨٣، وفي نيثر الجمان "علي بن محمد بن سليمان بن الجيّاب الانصاري الاغرناطي". ينظر: ابو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الاحمر، اعلام المغرب والاندلس في القرن الثامن وهو كتاب نيثر الجمان في شعر من نظمني وأياه الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، (ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م)، ص١٢٥، والصيغة ذاتها وردت في نيثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الاحمر، تحقيق: محمد رضوان الداية، (بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٦٧م)، ص٢٣٩، وفي الديباج المذهب "علي بن محمد بن سليمان بن علي ابن سليمان". ينظر: برهان الدين ابراهيم بن علي بن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الاحمدي ابو النور، (القاهرة، دار التراث، لا تاريخ للطبع): ١١١/٢، وفي نيل الابتهاج "علي بن محمد بن سليمان بن حسن بن الجيّاب الانصاري الغرناطي". ينظر: ابو العباس احمد بن احمد التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبدالله الهرامة، (ط٢، طرابلس، دار الكتاب، ٢٠٠٠م)، ٣٢٧.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م): ٤٤١/٧؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه: محب الدين الخطيب، (القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ)، ص٥.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٤٤٥/٥؛ ابن فرحون، الديباج المذهب: ١١١/٢؛ ابن القاضي، درة الحجّال: ٢٣٤/٣، ٢٣٧؛ السيوطي، بغية الوعاة: ١٨٩/٢؛ ابن الاحمر، نيثر الجمان، ص١٢٦.

(٤) الاحاطة: ١٤٠/١-١٤١.

(٥) عز الدين ابن الاثير الجزري، اللباب في معرفة الانساب، (بغداد، مطبعة المثنى، لا تاريخ للطبع): ٨٩/١-٩٠؛ وينظر: الموسوعة العربية الميسرة، (القاهرة، دار الشعب، لا تاريخ للطبع): ٢٤٥/١؛ علي محمد

النقراط، ابن الجيّاب الغرناطي، حياته وشعره، (ط١، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ١٤٢٤هـ)، ص٩٢.

(٦) النقراط، ابن الجيّاب، ص٩٣.

(٧) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٣٥/٤، ١٣٧؛ المقري، نفح الطيب: ٤٣٨/٥-٤٤٠.

* مالقة: مدينة بالاندلس على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر في قبيلها، وهي حسنة، عامرة آهله كثيرة الديار، وهي من تأسيس الأُول، وقصبتها في شرقي مدينتها عليها سور صخر، وهي في غاية الحصانة والمنعة، ومن مالقة إلى ارشذونة ثمانية وعشرون ميلاً. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، (ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)، ص٥١٧-٥١٨.

(٨) الاحاطة: ١٧٣/١.

(٩) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٦/٤.

(١٠) ابن الاحمر، نيثر الجمان، ص١٢٦.

(١١) انظر قصيدته التي كتبت على قبر السلطان ابي الوليد اسماعيل بن فرج في الاحاطة لابن الخطيب: ٤٠١/١-٤٠٢.

* ديوان الإنشاء: كان يتولى تحرير الرسائل السلطانية إلى الملوك المسلمين والنصارى أو إلى العمال والولاة، وتحرير المراسيم الملكية القاضية بتعيين ذوي المناصب من قضاة وقواد وولاة وتدوين الظهائر الملكية، كما يقوم ديوان الإنشاء بصياغة قوانين المملكة وتشريعاتها، و كان به إدارة للترجمة إلى اللغات الأوربية لا سيما الاسبانية أو القطلانية والقشتالية. ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، نشر: علي عبد الواحد وافي،(بيروت، ١٩٠٠م): ٢٦٤/١؛ يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، (الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،١٩٨٢م)، ص٧٧-٧٨؛ محمد كمال شبانة، يوسف الأول بن الأحمر، سلطان غرناطة (الطبعة الأولى، مصر، ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٩م)، ص٩٤؛

Alarcon Y, Linares: Los Decoumentos Arabes diplomaticos de Archivo de la Corona de Aragon. (Madrid – Granada 1940) P, 411.

(١٢) ابن الخطيب، الاحاطة: ٥٥٠/١؛ وينظر: عبد الحليم حسين جدوع الهروط، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الاحمر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ايار، ١٩٩٤، ص٩٩.

* هو محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي الرندي، ذو الوزارتين، يكنى ابا عبدالله، اشبيلي الاصل، رندي النشأة، وزير السلطان محمد المخلوع (٧٠١-٧٠٨هـ) وأحد شيوخ ابن الخطيب ممن تتلمذ عليهم في ميدان الشعر والأدب، يرجع نسبه ونسب بني حجاج وبني عباد إلى حرثومة واحدة، وانتقل سلفه إلى رندة في دولة بني عباد، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبّه. قدم على حضرة غرناطة ايام السلطان ابي عبدالله محمد بن محمد بن نصر اثر عودته من رحلته إلى الحج فالحقه السلطان بكتّابه، وقام

يكتب له في ديوان الانشاء، ثم تقلد الوزارة في عهد السلطان ابو عبدالله محمد المخلوع إلى جانب الكتابة، ثم افرده السلطان عبد العزيز بالوزارة ولقبه ذو الوزارتين. ابن الخطيب، الاحاطة: ١٤٢/٣-١٤٣.

(١٣) ابن الخطيب، اللحمة البدرية، ص٥٨؛ الاحاطة: ٥٥٠/١؛ ابن خلدون، العبر: ٤٤٠/٧-٤٤١ (وقد اورده بابن الحباب).

(١٤) ابن الخطيب، الاحاطة: ٣٣٦/٣؛ اللمحة البدرية، ص٥٨؛ ابن خلدون، العبر: ٤٤١/٧.

(١٥) ابن الخطيب، الاحاطة: ٣٨٩/١؛ الهروط، الرسائل الديوانية، ص٩٩.

(١٦) ابن الخطيب، الاحاطة: ٥٤٥/١.

(١٧) المصدر نفسه: ٣٢٠/٤؛ أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تقديم: أحمد مختار العبادي، (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧م)، ص١٨٨.

(١٨) ابن الاحمر، نيثر الجمان، ص١٢٦؛ الهروط، الرسائل الديوانية، ص١٢٦.

(١٩) ابو العباس احمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ١٤ جزء، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٢م): ٥٤/١-٥٥؛ وينظر: الطوخي، مظاهر الحضارة، ص١٨٧.

(٢٠) جودت الركابي، في الأدب الاندلسي، (مصر، دار المعارف، لا تاريخ للطبع)، ص٥٨؛ النقراط، ابن الجيّاب، ص١١٠.

(٢١) ابن فرحون، الديباج المذهب: ١١١/٢.

(٢٢) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٥/٤.

(٢٣) الاحاطة: ١٢٦/٤، وقد وردت في الكتيبة الكامنة، ص١٨٣، والتاج المحلّى، ص٣٧٩ "استعانت به السياسة فدارت افلاكها على شباه يراعه، وتعاقبت دول العدَّل فلم ترّ له عديلاً، ولا وجدت لسنة اصطباغه تبديلاً".

(٢٤) الاحاطة: ٥٥٠/١.

(٢٥) السيوطي، بغية الوعاة: ١٨٩/٢.

(٢٦) ابن الاحمر، نيثر الجمان، ص١٢٦؛ وينظر: النقراط، ابن الجيّاب، ص١٠٠-١٠١.

(٢٧) الاحاطة: ١٢٧/٤-١٢٨.

* هو احمد بن ابراهيم الزبير الثقفي الغرناطي يكنى ابا جعفر (٦٢٧-٧٠٨هـ) كان خاتمة المحدثين ومؤرخ من أدباء العرب الداخلين انتهت إليه الرئاسة في العربية ورواية الحديث والتفسير والاصول، ولد بجبان وأقام بمالقة ثم غادرها إلى غرناطة وطاب له العيش فيها، من مؤلفاته "صلة الصة" و"البرهان في ترتيب سور القرآن" و"الاعلام لمن ختم بالقطر الاندلسي من الاعلام". ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة: ١٨٨/١-١٩٣؛ ابن فرحون، الديباج المذهب: ١٨٩/١؛ ابن القاضي، درة الحجّال: ١١/١؛ ابو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، (بيروت، دار الكتب العلمية، لا تاريخ للطبع): ١٤٨٤/٤-١٤٨٥؛ شهاب الدين احمد العسقلاني، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، لا تاريخ للطبع): ٨٤/١.

* هو ابو الحسن فضل بن محمد بن علي بن فضل المعافري، ولد سنة ٦٠٧هـ، كان صوفياً محققاً اديباً بليغاً، ولي الخطابة والامامة بالمسجد الاعظم، وأقرأ به مدة كبيرة. توفي في ١٨ محرم سنة ٦٩٩هـ وكانت جنازته مشهورة. ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة: ٢٥٦/٤-٢٥٧؛ ابن القاضي، درة الحجّال: ٢٣٨/٣.
* هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر... بن رُشيد الفهري السبتي الرحالة، يكنى ابا عبدالله ويعرف بابن رُشيد، ولد عام ٦٥٧هـ وقيل ٦٥٩هـ وكان جمّاعاً للكتب، ريّان الأدب، حافظاً للأخبار والتواريخ، ورد على الاندلس عام ٦٩٢هـ وتقدم اماماً وخطيباً بالمسجد الاعظم، ثم انتقل إلى فاس معظماً عند الملوك والخاصة، وله شعر يتكلفه، الف كتاباً سماه "ملء العيْبة بما جمعّ بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة". وتوفي بفاس سنة ٧٢١هـ. ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة: ١٣٥/٣-١٤٣؛ العسقلاني، الدرر الكامنة: ٢٢٩/٤-٢٣١؛ شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني، ازهار الرياض في اخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخرون، (مطبعة فضالة، المعهد الخليفي للابحاث المغربية، لا تاريخ للطبع): ٣٤٧/٢-٣٥٦؛ ابن فرحون، الديباج المذهب: ٢٩٧/٢-٢٩٨.
* هو ابو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن المرّحل السبتي، ولد بمالقة سنة ٦٠٤هـ، ذو العلم والأدب والقراءات وغيرها، نظم قصيدة في الفرائض ومن بديع نظمه "التبيين والتبصير لكتاب التيسير" توفي في سنة ٦٩٩هـ. للتفاصيل أكثر ينظر: ابن القاضي، درة الحجّال: ١٩/٣-٢٦؛ العسقلاني، الدرر الكامنة: ٢٦٩/٤.
* هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الانصاري الساحلي المشهور بالطويجن، يكنى ابا عبدالله، من اهل غرناطة، وكان أبوه أمين العطارين فيها، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وعاد فأستوطن بلاد السودان، وقد كان فقيهاً عالماً، توفي سنة ٧٤٧هـ. ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة: ٣٣٧/١، ٣٣٩؛ المكتبة الكامنة، ص٢٣٥؛ ابن الاحمر، نثير الجمان، ص٢٠٥؛ المقري، نفح الطيب: ١٩٤/٢.
* هو أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد...، المعروف بابن الغماز الاندلسي، ولد سنة ٦٠٩هـ، قاضي القضاة بتونس، كان موصوفاً بالعلم والفضائل والرئاسة، ولي قضاء الجماعة سبع مرات فحمدت فيها سيرته، اعتنى بلقاء رجال الحديث، واجاز خلائق في المشرق والمغرب، توفي عام ٦٩٣هـ. ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب: ٢٤٩/١-٢٥٠؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٨٠-٨١؛ ابو الحسن بن عبدالله النباهي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، لا تاريخ للطبع)، ص١٢٢-١٢٣؛ ابو العباس احمد بن احمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رافع مونار، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، لا تاريخ للطبع)، ص٧٠؛ ارسلان، الحلل السندسية: ٦٦١/٣/١.
* لم أعثر له على ترجمة.
* لم أعثر له على ترجمة.
* لم أعثر له على ترجمة.
* هو ابو محمد عبدالله بن محمد بن هارون القرطبي، ولد في رمضان ٦٠٣هـ، أخذ عن جده لأمه، ابي عبدالله محمد بن قادم المعافري، وابي القاسم بن بقي، وابي عبدالله القزاز، توفي ٧٠٢هـ. ينظر: ابن القاضي، درة الحجّال: ٤٤/٣.

* لم أعثر له على ترجمة.

(٢٨) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٧/٤-١٢٨.

(٢٩) نفح الطيب: ٤٣٤/٥؛ وينظر: النقراط، ابن الجيّاب، ص٩٨.

(٣٠) ابن الخطيب، التاج المحلّى في مساجلة القدم المُعلّى، مديل بكتاب ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبدالله عنان، (ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨١م)، ص٣٧٩، وفي الكتيبة الكامنة، ص١٨٣: "لا يمر الكلام في فنٍ إلا كان في ميدانه التبريز، ولا تعرض جواهر الافهام على ميدان الابهام، إلا انتسب إليه الابريز".

(٣١) نيثر فرائد الجمان، ص٢٤٠؛ وفي نفح الطيب للمقري: ٢٦٠/٦ "وغرّب ذكره وشرَّق، وأشام وأعرق...".

(٣٢) العبر: ٤٤١/٧.

(٣٣) درة الحجّال: ٢٣٥/٣.

(٣٤) ابن الاحمر، نيثر الجمان، ص١٢٦.

(٣٥) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٥/٤؛ ابن فرحون، الديباج المذهب: ١١١/٢؛ ابن القاضي، درة الحجّال: ٢٣٤/٣؛ ابن الاحمر، نيثر الجمان، ص١٢٥؛ وينظر: الهروط، الرسائل الديوانية، ص١٠٢.

(٣٦) التاج المُحلَّى، ص٣٧٩؛ الكتيبة الكامنة، ص١٨٤.

(٣٧) التنبكتي، ص٣٢٧.

(٣٨) ابن الخطيب، التاج المحلى، ص٣٧٩؛ الكتيبة الكامنة، ص١٨٣-١٨٤.

(٣٩) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٥/٤؛ ابن فرحون، الديباج المذهب: ١١١/٢؛ السيوطي، بغية الوعاة: ١٨٩/٢.

(٤٠) ابن فرحون، الديباج المذهب: ١١١/٢.

(٤١) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٦/٤.

(٤٢) الكتيبة الكامنة، ص١٨٩.

(٤٣) الاحاطة: ١٢٦/٤؛ المقري، نفح الطيب: ٢٦٠/٦-٢٦١.

(٤٤) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٦/٤؛ المقري، نفح الطيب: ٢٦٠/٦.

* هو ابو القاسم محمد بن احمد بن جُزيّ الكلبي، ولد ٦٩٣هـ، كان قائماً على التدريس، جمّاعاً للكتب مشاركاً في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، تقدم خطيباً بالجامع الاعظم، واماماً له، دوّن وصنف، وكان كاتباً في ديوان الانشاء، اشتشهد بالوقيعة الكبرى بطريف عام ٧٤١هـ. ينظر: ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص٤٦-٤٧؛ ابن فرحون، الديباج المذهب: ٢٧٤/٢-٢٧٥؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٩٨؛ المقري، نفح الطيب: ٥١٤/٥-٥١٧؛ ازهار الرياض: ١٨٤/٣-١٨٧.

(٤٥) المقري، ازهار الرياض: ١٩٢/١؛ ابن القاضي، درة الحجّال: ٢٣٧/٣.

(٤٦) للتفاصيل ينظر: ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص٨٩-١٩٣؛ المقري، نفح الطيب: ٤٤٣/٥-٤٤٥.

(٤٧) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٥/٤.

(٤٨) المصدر نفسه: ١٢٥/٤؛ السيوطي، بغية الوعاة: ١٨٩/٢؛ ابن فرحون، الديباج المذهب: ١١١/٢.

(٤٩) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٦/٤؛ المقري، نفح الطيب: ٢٦٠/٦.

(٥٠) الاحاطة: ١٢٦/٤.

(٥١) المصدر نفسه: ٤٥٨/٤.

(٥٢) الاحاطة: ٣٥/١.

(٥٣) ابن فرحون: ١١١/٢.

(٥٤) ابن القاضي: ٢٣٤/٣.

(٥٥) المقري، نفح الطيب: ٢٨٩/٧.

* هو محمد بن علي بن علي بن محمد بن محمد الانصاري، يكنى ابا القاسم ويعرف بأبن خاتمة، شقيق ابي العباس صاحب المرية، رحل إلى المغرب فأخذ به عمن لقى من أهل العلم بوقته، وأخذ بحضرة غرناطة عن الرئيس ابي الحسن بن الجيّاب وآخرون، وكان أديبا لبيباً شاعراً كاتباً، توفي في أواخر ايام الطاعون في الخامس من شهر ربيع الأول سنة ٧٥٠هـ. ينظر: ابن القاضي، درة الحجّال: ٨٦/٢-٨٧.
* هو عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى... بن عقبة المجازي، ولد سنة ٧٠٩هـ. ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة: ٥٥٥/٣. وقد أورد بعضاً من شعره.
* هو علي بن ابراهيم بن علي الانصاري المالقي، يكنى ابا الحسن، كان آية الله في الحفظ وثقوب الذهن والنجابة في الفنون، رحل عن بلده مالقة واستقر بالمغرب وجلس للتدريس بسلام ولم يذكر ابن الخطيب تاريخ ميلاده ووفاته. الاحاطة: ١١٦/٤-١٢٠.
* هو ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) ولد ونشأ ومات في المدينة، وهو من أصل مغربي، تولى القضاء بالمدينة وله مؤلفات عديدة منها "الديباج المذهب" و"تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الاحكام". ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٢؛ العسقلاني، الدرر الكامنة: ٤٨/١؛ خير الدين الزركلي، الاعلام: ٤٧/١؛ محمد عبدالله عنان، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، (ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٧م)، ص٤٨٦.
* هو محمد بن محمد بن عرفة، يكنى ابا عبدالله (٧١٦-٨٠٣هـ) أحد الفقهاء المشهورين، له مصنفات عديدة في مذهب مالك تدل على تقدمه وسعة علمه، منها "المختصر الكبير في الفقه". ينظر: المقري، نفح الطيب: ٥٥٦/١ هامش (١)؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٤٦٣؛ الزركلي، الاعلام: ٢٧٢/٧.
* هو عبدالله بن محمد بن احمد بن جزّي الكلبي الامام العالم والاديب الحافظ، قائم على العربية، مشارك في فنون لسانية ظريف في الادراك جيد النظم، تقدم للقضاء بجهات نبيهة على زمن الحداثة، أخذ عن والده الاستاذ الشهير ابي القاسم اشياء كثيرة وأجازه رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٢٨-٢٢٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة: ٣٩٢/٣-٣٩٩؛ المقري، نفح الطيب: ٤٣٩/٥.
* هو ابو القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان النجاري، المالقي الفاسي، ولد سنة ٧١٨هـ كان متضمناً في معارف شتى، عارفاً بعقد الشروط، شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً، تولى كتابة علامة السلطان ابي عنان المريني، وكان قد تولى العدول في مالقة. ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة: ٤٤٤/٣؛ ابن الاحمر، نيثر الجمان، ص٢٣٣-٢٤٧؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٤٥-١٤٧؛ ابن الاحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة،

(الرباط، جامعة محمد الخامس، ١٩٦٤م)، ص٥١-٥٦؛ ابن خلدون، التعريف بأبن خلدون، ص٤١-٤٤؛ ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص٢٥٤-٢٥٩.

* هو محمد بن احمد بن عبدالله الحسني السبتي ابو القاسم المعروف بالشريف الغرناطي (٦٩٧-٧٦٠هـ) من أعلام القضاة بالاندلس وشاعر من شعرائها، ارتحل عن بلدة سبتة واستقر بغرناطة حيث التحق بسلك الكتابة تحت راية صديقه ابن الجيّاب، كما تولى منصب القضاء بغرناطة، غير انه عزل عنه، ثم اعيد اليه مرة أخرى واستمر قاضياً لغرناطة حتى وفاته سنة ٧٦٠هـ. له شعر كثير جمعه وسماه (جهد المقل الضائع)، ومن مؤلفاته "رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة". ينظر: النباهي، المرقبة العليا، ص١٧١-١٧٧؛ ابن الخطيب، الاحاطة: ١٨١/٢ وفيه شيء من اخباره وعلاقته بابن الجيّاب؛ ابن الاحمر، نيثر فرائد الجمان، ص٤٥-٧٩ وقد أورد جملة من شعره؛ المقري، نفح الطيب: ١٨٩/٥-١٩٨؛ نيثر الجمان، ص١٤٥؛ عبدالله كنون، سلسلة مشاهير رجال المغرب، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، لا تاريخ للطبع)، ص٢١.

(٥٦) ابو الحسن بن عبدالله النباهي المالقي الاندلسي، تاريخ قضاة الاندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، (ط٥، بيروت، دار الافاق الجديدة، ١٩٨٣م)، ص١٧٢.

(٥٧) ابن الخطيب، الاحاطة: ٤٦٠/٣؛ المقري، نفح الطيب: ٤٥٦/٥؛ النقراط، ابن الجيّاب، ص١٠٦.

(٥٨) النباهي، المرقبة العليا، ص١٧١.

(٥٩) الاحاطة: ١٨٣/٣.

(٦٠) النباهي، المرقبة العليا، ص١٧٣؛ ابن الخطيب، الاحاطة: ١٨٣/٢.

(٦١) العلمي مبارك، ابو القاسم الشريف السبتي الناقد الأديب، (الرباط، كلية الآداب، ١٩٨٥-١٩٨٦م)، ص٩١.

(٦٢) للتفاصيل ينظر: ديوان ابن الخطيب، تحقيق وتقديم: محمد مفتاح، (ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م): ١١١/١.

(٦٣) النقراط، ابن الجيّاب، ص١٠٨.

* هو الخضر بن احمد بن الخضر بن ابي العافية، يكنى ابا القاسم، من أهل غرناطة وقاضياً من قضاتها البارزين، توفي سنة ٧٤٥هـ. ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة: ٤٩٤/١-٥٠٠. وقد أورد جملة من شعره؛ الكتيبة الكامنة، ص١٧٧ وأورد جملة من شعره أيضاً؛ النباهي، المرقبة العليا، ص١٤٩؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٦٥.

(٦٤) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص١٨٤.

(٦٥) المصدر نفسه، ص١٨٥.

(٦٦) الاحاطة: ١٢٧/٤ وما بعدها.

(٦٧) نفح الطيب: ١٠١/٧.

(٦٨) درة الحجّال: ٢٣٧/٣.

(٦٩) نقلاً عن: محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء. ديوان العمارة والنقوش العربية، تقديم: اسماعيل سراج الدين، (لا مكان للطبع، لا تاريخ للطبع).

(٧٠) الاحاطة: ١٤٧/٤؛ وينظر: المقري، نفح الطيب: ١٠١/٧ والكتاب لم يصلنا.

(٧١) نفح الطيب: ٤٦٤/٥؛ وينظر: الهروط، الرسائل الديوانية، ص١٠٤.

(٧٢) التاج المحلى، ص٣٧٩.

(٧٣) الاحاطة: ١٤٧/٤.

(٧٤) الكتيبة الكامنة، ص١٨٣؛ التاج المحلى، ص٣٧٩.

(٧٥) الكتيبة الكامنة، ص١٨٤.

(٧٦) الاحاطة: ٣٨٩/١.

(٧٧) نيثر الجمان، ص١٢٦؛ نيثر فرائد الجمان، ص٢٤٠.

(٧٨) ازهار الرياض: ١٩٢/١.

(٧٩) نفح الطيب: ٤٦٤/٥.

(٨٠) درة الحجّال: ٢٣٥/٣.

(٨١) نفح الطيب: ٤٥٨/٥-٤٦١.

(٨٢) المصدر نفسه: ٤٦١/٥-٤٦٤.

(٨٣) لم يذكر المقري مقدمة الرسالة الثانية، واكتفى بالاشارة إليها. نفح الطيب: ٤٦١/٥؛ وينظر: الهروط، الرسائل الديوانية، ص١٠٦.

(٨٤) المقري، نفح الطيب: ٤٥٩/١.

(٨٥) المصدر نفسه: ٤٦١/١-٤٦٢.

(٨٦) المصدر نفسه: ٤٦١/١.

(٨٧) المصدر نفسه: ٤٦٢/١.

(٨٨) ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي، احكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والاندلس، تحقيق: محمد رضوان الداية، (د.م، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦م)، ص٦٦-٦٧؛ وينظر: الهروط، الرسائل الديوانية، ص١٠٨.

(٨٩) المقري، نفح الطيب: ٤٥٩/١.

(٩٠) المصدر نفسه: ٤٦٢/١.

(٩١) المصدر نفسه: ٤٦١/١-٤٦٢

(٩٢) المصدر نفسه: ٤٦١/١.

(٩٣) المصدر نفسه: ٤٥٩/١.

(٩٤) المصدر نفسه: ٤٦٤/١.

(٩٥) المصدر نفسه: ٤٦٠/١.

(٩٦) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٢٥/٤؛ وينظر: الطوخي، مظاهر الحضارة، ص١٨٧.

(٩٧) المصدر نفسه: ١٤٧/١؛ المقري، نفح الطيب: ٤٤٥/٥؛ ابن القاضي، درة الحجّال: ٢٣٨/٣، وفي بغية الوعاة للسيوطي: ١٨٩/٢ ان وفاته ليلة الاربعاء ١٣ شوال سنة٧٤٩هـ، وفي نيل الابتهاج للتنبكتي، ص٢٠٥ توفي ١٣ شوال سنة ٧٤٩هـ، وفي العبر لابن خلدون: ٦٨٩/٤، وأزهار الرياض للمقري: ٢٠٥/١" هلك في الطاعون الجارف سنة ٧٤٩هـ"، وفي الديباج المذهب لابن فرحون: ١١١/٢ توفي سنة ٧٤٩هـ، وفي وفيات الونشريسي، ص١١٦ توفي سنة ٧٤٠هـ.

(٩٨) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٤٧/٤.

(٩٩) المصدر نفسه: ١٤٧/٤؛ السيوطي، بغية الوعاة: ١٨٩/٢؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٠٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٦٨٩/٤.

(١٠٠) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٤٩/٤-١٥٢؛ المقري، نفح الطيب: ٤٤٨/٥-٤٤٩.

(١٠١) الاحاطة: ١٤٧/٤؛ وينظر: المقري، نفح الطيب: ٤٤٥/٥-٤٤٧.

(١٠٢) بلغ عدد أبياتها (٤٨) بيتاً.

* في نفح الطيب: ٤٥٠/٥ (الآمال).

(١٠٣) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٥٢/٤؛ المقري، نفح الطيب: ٤٥٠/٥.

(١٠٤) ابن الخطيب، الاحاطة: ١٥٢/٤؛ المقري، نفح الطيب: ٤٥٠/٥.

(١٠٥) المصدر نفسه: ٤٥٠/٥؛ ابن القاضي، درة الحجّال: ٢٣٤/٣؛ المقري، أزهار الرياض: ١٩٢/١.

* يذكر ابن خلدون ان الخاتم كان "من الخطط السلطانية والوظائف المملوكية، والختم على الرسائل والصكوك". ينظر: المقدمة: ١/ ٢٦٤.

(١٠٦) نقلاً عن: المقري، نفح الطيب، نشر: محمد محي الدين عبدالحميد، (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م): ٥/٧؛ وينظر: الطوخي، مظاهر الحضارة، ص١٦٥.